تبرير الحروب باعتبار أن البديل أسوأ منها

□ إننا لم نستوف شروط بدء الحرب ضد صدام، والَتي سنقتل فيها مدنيين بكل تأكيد

ديفيد أرونوفتش*

شكل 3000 زعيم ديني – في مقدمتهم راهبات من الكنيسة الأنجليكانية دستوراً للأخلاق. وهو أمر يعتبر جديداً من نوعه لسكان المنطقة المهتمين بالأمور الدينية وهو أمر جديد عمليًا بالنسبة إلى لكثيرين. صحيح أن بعض الاعتراضات التي طرحها مقدمو العرائض المتدينون ضد الهجمة على العراق هي مثار للتساؤل. الميثوديون (طائفة من المسيحيين البروتستانت) ألحوا على أن العرض العراقي لمناقشة السماح لمفتشي الامم المتحدة يجب أن يُقبل، غير مدركين أن مثل هذا العرض طرحته الأمم المتحدة قبل عدة أسابيع، ولكن العراق رفضه. وقد وصف إتحاد المعمدانيين (طائفة أخرى بروتستانتية) الهجوم بأنه مس من الجنون، وهذا أمر غير صحيح وخصوصاً إذا نجح الهجوم. بينما يرى البعض أن الهجوم على العراق لا يمكن تبريره أخلاقيًا أو دينيًا. وبالتأكيد يمكن ذلك (ما لم تكن محايداً ومسالماً بصورة سلبية).

تقول إحدى الراهبات معلنة موقفها: «الناس في بريطانيا ضد الحرب» و«نحن نقول رجاءً لا تفعلوا ذلك، رجاءً تحدثوا، رجاءً استمعوا نعم استمعوا» ولكن مع من سيكون الحديث بالضبط؟ يفترض مع صدام.

في 7 أغسطس/آب 2002 روى زميلي المحترم مايكل براون، في مقال له كيف كان عضواً في مجموعة صغيرة من أعضاء البرلمان البريطاني الذين زاروا العراق في العام 1989. ويتذكر قائلا: «شجعونا على زيارة نصب الحرب التذكاري حيث وضعنا إكليلا من الزهور، وبالطبع عرفنا بشكل مبهم عن وحشية صدام، ولكنه لفت انتباهي بصوته الهادئ خلال المناقشات وكذلك مجاملاته الدبلوماسية». وقد كان يرى أن الحوار افضل من الحرب سواء في ذلك الوقت أو الآن. وقد أزعجتني بشدة عبارته الصادقة جدًا: «عرفنا بشكل مبهم». في العام 1988 انتهت الحرب التي بدأها صدام ضد إيران بعد ثماني سنوات وذهب محصلتها مليون قتيل. وفي اليوم التالي لوقف إطلاق النار أعلن قيام الطائرات العراقية بمهاجمة القرى الكردية باستخدام الغازات السامة. وهو ما كان قد حدث سابقاً، ولكن هذه المرة كان مراسلو الشبكات الغربية موجودين في مكان الحادث بعد وقت قصير من حدوثه. وقد سعى رئيس لجنة الشئون الخارجية السيناتور كاليبورن بيل، دون نجاح لإقناع الكونغرس الاميركي بفرض عقوبات على العراق. وقد حدث هذا قبل شهر واحد فقط من زيارة مايكل، الذي ربما لم يكن لديه متسع من الوقت للاطلاع على تقرير منظمة العفو الذي يعرض بالتفصيل مدى فظاعة الحياة في العراق – البلد الذي تقتلع فيه عيون الأطفال لإجبار والديهم على الاعتراف. من الواضح أيضاً ان مايكل لم يعرف ما عرفته لسنين عن ان النظام يستخدم بطريقة منتظمة طلبته المقيمين في الخارج للتجسس على أبناء وطنهم المقيمين في الخارج ولمهاجمتهم وتهديدهم بما سيحدث لعوائلهم الموجودة في داخل العراق.

بعد فترة ليست طويلة من زيارة أعضاء البرلمان البريطاني للرئيس صاحب الصوت الهادئ، اعتقل الصحافي البريطاني «فرزاد بازوفت» بعد متابعته حادث انفجار مشتبه فيه. تم انتزاع الاعترافات منه تحت التخدير، ثم بُث ذلك على التلفزيون العراقي، وبعدها تمّت محاكمته في محكمة خاصة بتهمة التجسس. وقد طالبت السيدة ثاتشر والعديد من الشخصيات الأخرى بالإبقاء على حياته. وكما يتذكر الكاتب عادل درويش فإن صدام قال في إحدى خطبه «إن رئيسة الوزراء البريطانية تريد الجاسوس وسوف تحصل عليه سالماً» بعدها نفخ سيجارته وأضاف... «في صندوق».

يقول درويش «بعد تسع ساعات وقع السكرتير الأول في السفارة البريطانية في بغداد أوراق إستلام الصندوق الذي يحوي جسد بازوفت الذي فرضت عليه مراقبة عملية إعدامه» حينها كان البرلمان البريطاني يناقش القضية في لندن وكان وزير الخارجية دوجلاس هيرد في ذلك الوقت قد رفض النداءات التي تدعو إلى فرض عقوبات على العراق وقد تساءل: «هل «ستزيل هذه العقوبات النظام» ثم أجاب: «بالطبع لا»، «هل سيؤثر ذلك بأي طريقة على سياساته» أرى أن ذلك سوف لن يحدث»، «هل سيكون ضررها على بريطانيا اكثر من نفعها؟ أعتقد أن ذلك ممكن!!»

وقد أيد جورج جالواي وزير الخارجية في رأيه. ذكر هانسارد أن جالواي بدأ بالقول ان النظام العراقي لطخ اسم الشعب العراقي، مضيفاً بحذر: «كأي دولة ترتكب قتلاً قضائيًا، هل يقبل الوزير أن يرحب المجلس عموما بالطريقة الاحتياطية التي اتخذها كرد؟» حينها اعترض بعض الأعضاء من حزب العمال، فواصل جالواي: «الناس الذين يعرفون ذلك الجزء من العالم استمعوا بشعور متزايد من الكآبة لإطلاق السفن المدفعية ونفض غبار السيوف في مواقع محددة. كان ذلك يعطي نتائج عكسية تماماً، وقد دفع رجل حياته لذلك «فهل كان ذلك أيضا خطأ صدام فقط؟». بعد هذه المناقشة وبأقل من خمسة أشهر حاول صدام ضم الكويت.

صدام ليس هتلر ولا عبدالناصر، هو صدام وهذا سيئ بما فيه الكفاية. تعتبر حكومة العصابات التكريتية من بين اسوأ الأنظمة في العالم، فقد غزا دولتين، واستعبد أبناء شعبه ، أنتج واستخدم أسلحة بيولوجية وكيماوية، وحاول أن ينتج أسلحة نووية. ولا يوجد في سجله ما يشير إلى كونه سهل الانقياد إلى الدبلوماسية. هذا هو الرجل الذي رفض أن يتزحزح من الكويت بين أغسطس/آب 1990 ويناير/كانون الثاني 1991 عند ما بدأت الحرب الجوية، وبعدها رفض أن يتزحزح عند ما بدأت الحملة البرية. وعند تراجعه أحرق آبار النفط . ويمكننا القول اننا قد لا نقدم إلى العراقيين معروفا اكبر من اسقاط صدام واعطائهم الفرصة للبناء مرة أخرى.

ولكن لا يمكننا ذلك لأن أعضاء الكنيسة على حق. الحروب هي أمور استثنائية والشعوب المتحضرة لا يمكنها أن تمر بها من دون مقدمات عندما تحب ذلك أو عندما تستنفد جميع خياراتها. الحروب يجب أن تبرر بشكل واضح عن طريق الايمان بأن البديل للحروب هو في الواقع أسوأ وبأن هذا الإعتقاد أو الإيمان يجب أن يسيطر بشكل كبير كما حدث بعد 11 سبتمبر/ايلول في حالة أفغانستان.

نحن لا نحمل هذا الإيمان. نحن لا نعتقد ان صدام وراء الإرهاب العالمي ولم نر دليلا مقنعا بأنه يصنع أو سوف يستخدم اسلحة دمار شامل. وكما يقول ريتشارد هاريس، اسقف أوكسفورد اننا لم نستوف الشروط اللازمة لشن حرب، والتي سنقتل فيها مدنيين بكل تأكيد. هذه المعلومات تسبب أزمة شرعية لا تستهدف البريطانيين فقط أو ألمانيا شرودر، ولكن أعتقد انها تؤثر على الولايات المتحدة.

هذه ليست حقيقة يُتباهى بها فهي تتركنا جامدين على العقوبات ومناطق حظر الطيران، وتترك العراقيين مع صدام. كم كنت أتمنى لو كنا دخلنا بغداد في العام 1991، وكم كنت آمل أن يكون صدام غبيًا بما فيه الكفاية ليعطينا ذريعة للتخلص منه الآن.

*خاص بـ«الوسط»

من آثار الدمار الذي تلحقه الحروب بالمدنيين

البحث عن السلام يجب أن يكون أولوية أميركية

□أليس هناك ما هو أكثر دلالة على الحاجة الملحة لإعادة إحياء عملية السلام في الشرق الأوسط من المذابح التي تجري في الجليل والقدس؟

وقد اعتادت السلطة الفلسطينية إلقاء اللوم على السياسة «الإسرائيلية» القائمة على الاعتقالات الجماعية وهدم المنازل التي تزيد من العنف وذلك عند إدانتها الهجوم على الباص في الجليل. وفي هذه الأثناء، يجوب الجيش «الإسرائيلي» البيوت بيتاً بيتاً في نابلس بحثاً عن متفجرات أو «استشهاديين» فإذا لم تستطع السلطة الفلسطينية وضع حد للعنف، فإن «إسرائيل مستعدة للقيام بمهام السلطة» كما تقول.

وقد اعترفت حماس، الجناح العسكري، بمسئوليتها عن تفجير الباص، مشيرة إلى أنه جاء ثأراً للغارة «الإسرائيلية» التي أدت إلى استشهاد قائد الجناح العسكري في حركة حماس، صلاح شحادة، وأربعة عشر آخرين في الشهر الماضي. وقالت «إسرائيل» إنها تحت هذه الظروف، ستؤجل المحادثات المخطط لها مع المسئولين الفلسطينيين لتخفيف القيود عن الفلسطينيين داخل الضفة الغربية التي فرضت مؤخراً.

ولا يمر يوم من دون وقوع حادث عنيف بين الفلسطينيين و«الإسرائيليين» في مكان ما، وبمستوى ما، فهجمات الجليل، وقنبلة الجامعة العبرية وقتل شحادة كلها تعطي مؤشرات عامة على أن أي وميض من الأمل سرعان ما يتلاشى.

لقطة لتشييع جنازة الشهيد صلاح شحادة

وأهم التطورات الأخيرة هو خبر قيام دبلوماسيين غربيين بتفعيل مبادرة فلسطينية كانت ستقضي إلى هدنة، يتم بموجبها خفض الوجود العسكري «الإسرائيلي» في الضفة الغربية – وكان ضمن الموقعين على الهدنة اثنان من قياديي الحركات الفلسطينية المسلحة بالإضافة إلى ثالث من حماس. وفي تلك اللحظات شنّت «إسرائيل» غارتها التي أدت إلى مقتل القائد شحادة.

ولم يتم إعلان مبادرة الهدنة كمثال لما تم من جهود، حتى وُلدت ميتة. ومع ذلك، توضح المبادرة أن اليأس الموجود في المنطقة ليس شاملاً، كما توضح:

أولاً: أن تحركاً قد تم بين الفلسطينيين لتخفيف حدة العنف، ليس بين الفلسطينيين المنضوين تحت قيادة عرفات فحسب ولكن أيضاً بين بعض الحركات المسلحة الأخرى.

ثانياً: أنه على عكس الانطباع السائد، لم تنته الجهود الدبلوماسية الخارجية بفشل الجهود الأميركية الأخيرة، على رغم أن الجانبين الفلسطيني و«الإسرائيلي» قد خفضا العنف وجرت بينهما اتصالات سرية.

ثالثاً: أن التدخل الخارجي مهم حتى ولو أحرز تقدماً متواضعاً تجاه السلام، ومن دونه لا يمكن أن يتوقف العنف.

وهذا يعني بطريقة أو بأخرى أهمية إعادة اهتمام أميركا بعملية السلام، ربما مع دعم أوروبي، وزيادة اهتمام مصر أو المملكة العربية السعودية التي لم ترفض مبادرتها كلياً في بداية العام الجاري. ومن المؤسف أن إدارة بوش لم تفصح عن اهتمامها العميق علانية بالسلام كما لم ترم بثقلها على «إسرائيل» حتى تنظر في عواقب حلقة سياسة الأخذ بالثأر وتعترف بالحاجة إلى تنسيق أمني فلسطيني – «إسرائيلي» متبادل. فقد قال بوش مؤخراً في بداية عطلته في منزل عائلته إنه حزين للاغتيالات الجديدة، ولكنه لم ينفوه بكلمة واحدة عن حاجة «إسرائيل» إلى ضبط النفس أو استئناف المحادثات.

ومن المؤسف أيضاً أنه في الوقت الذي تستعد فيه الولايات المتحدة لإحياء الذكرى الأولى للحادي عشر من سبتمبر/ أيلول فإن اهتمامها الدولي ينحصر في تفادي تهديد من العراق أكثر من القيام بأقصى ما تستطيع لوقف إراقة الدماء الفلسطينية – «الإسرائيلية».

*خاص بـ«الوسط»

ينبغي الترحيب بانضمام تركيا إلى أوروبا

□ صوّت البرلمان التركي مؤخراً على طلب بالدعوة إلى انتخابات عامة مبكرة في بداية نوفمبر/تشرين الثاني، والتي استلزمها الضعف البدني والسياسي المتزايد لرئيس الوزراء، بولنت أجاويد. ويعتبر هذا القرار دليلاً على أن وراء الأكمة ما وراءها. وتمنح الانتخابات تركيا فرصة لمعالجة الإصلاحات المطلوبة قبل المدة المحددة وفق الجدول الزمني السابق بـ 18 شهراً. كما تعطيها والناخبين الفرصة لإظهار أوراق اعتمادها الأوروبية. وكانت هناك شائعات بوقوع انقلاب عسكري ومنذ فترة غير طويلة بسبب الأزمة السياسية في تركيا، إن لم يكن استيلاءً فعلياً على السلطة، وما حدث من تسارع الانشقاقات في ائتلاف أجاويد المهزوز، خلق ضغطاً بديلاً لإقامة انتخابات جديدة وتشكيل حزب جديد يتبنى انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي. وفي اليوم التالي لذلك تواصلت عملية جدولة – وليس إقرار – المقاييس التي تجيب على كثير من الأسئلة المتعلقة بطلب تركيا الانضمام للاتحاد الأوروبي.

ومن بين التشريعات الجديدة المقترحة استبدال عقوبة الإعدام بالسجن مدى الحياة، وإذاعة اللغة الكردية وتعليمها، وتقليل القيود المفروضة على حرية التجمع. وقد حذر السيد أجاويد ومؤيدوه المتفائلون من أن الانتخابات التي قد تعرقل انتقال تركيا باتجاه أوروبا، قد تمنح النصر لحزب العدالة والتنمية البارز المؤيد للاسلاميين (ولكن البعيد عن الأصوليين)، وبالتالي يعرّض للخطر القرض الذي وعد صندوق النقد الدولي بمنحه تركيا ومقداره 16 مليار دولار أميركي والحملة المقبلة تعطي الناخبين الأتراك فرصة لاظهار أن هذه المخاوف ليست في محلها.

وهناك سوابق لما قد تسفر عنه الانتخابات من نتائج مفاجئة، فانتصار أجاويد نفسه في العام 1999 لم يكن متوقعاً، ولذلك لا يمكن التسليم بانتصار الحزب الاسلامي البارز، وكذلك لا ينبغي إلغاء طلب اسماعيل جيم الذي اقترح تشكيل تجمع يمهد للانضمام لأوروبا.

حالياً، يعود الأمر للاتحاد الأوروبي في عدم إقصاء تركيا عن طريق رفض ما أحرزته من تقدم وينبغي الاشادة بالقيادة التركية لقوات حفظ السلام المتعددة الجنسيات في أفغانستان كنوع من التشجيع، مع التأكيد للناخبين الأتراك أنه إذا استطاعت بلدهم تلبية شروط عضوية الاتحاد الأوروبي فسيتم الترحيب بها.

*خاص بـ«الوسط»

وزير الخارجية التركي السابق إسماعيل جيم

المقالات المنشورة بالاتفاق مع صحيفة «الاندبندنت» البريطانية